﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النّمل: 83 - 84]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الانْتِقالُ مِنْ ذِكْرِ أَشْراطِ السّاعَةِ إلى ذِكْرِ ما يَكونُ يَوْمَ القِيامَةِ

لمّا ذَكَر اللّهُ سُبْحانَه ما يكونُ مِن إخراجِ الدّابَّة، ومِنْ شَأْنِها: أنَّها تَسِم المؤمنَ والكافرَ بِما لا يَقْدِرون على مُدافَعَتِه؛ أعقبَهُ اللّهُ تَعالى بِتَمْييز كُلِّ فريقٍ مِنْهُما عَن صاحبه وجَمْعِهِم يوم القيامة وسَوْقِهم على وجهٍ لا يختلط أحدُ الفَريقَيْن بالآخر، فقالَ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَحْشُرُ﴾: (حشر) تدلُّ اشتقاقاتُها على جمعٍ وبَعْثٍ وسَوْق[2]، والحَشْرُ: هو إجلاءُ النّاس وإخراجُهم من مقرِّهم، ومنه قولهم: حَشَرَتْهُمُ السَّنةُ؛ إذا ضمَّتهم من النَّواحي إلى الأمصار[3]، ويقال: حَشَرْتُ النّاس حَشْرًا، أي: جمعتُهُم، ومنهُ: يومُ الحشر[4].

ومعنى: ﴿نَحْشُرُ﴾ في الآيةِ: نَسوق، ونَجْمَعُ، وهو حَشْرٌ خاصٌّ بعد حَشْرِ الخَلْقِ عامَّة[5].

2) ﴿فَوْجًا﴾: (فوج) أصل يدلُّ على تجمُّع[6]، فالفَوجُ: القطيع من النّاس[7]، و"الفائجَةُ: متَّسعُ ما بين كلِّ مرتفعين من غِلَظ أو

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 218.
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (حشر).
(3) الخليل، العين: (حشر).
(4) الجوهريّ، الصحاح: (حشر).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 40.
(6) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (فوج).
(7) الخليل، العين: (فوج).

رمل"، و"الإفاجة: الإسراع والعدْو"، فحُمِلَ الفوجُ على الإسراع[1]، والفوج: الجماعة المارَّة المُسْرِعة[2].

ومعنى قولِه تَعالى: ﴿فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾، أي: جماعةً وصِنْفًا مِنَ المكذِّبين.

3) ﴿يُوزَعُونَ﴾ (وزع) أصلٌ يدلُّ على كفٍّ وزجرٍ، يقال: وزَعْته عن الأمر، أي: كفَفْته[3]، والوزعُ: الردُّ عن الانتشار والمفارقة[4]، وقالَ الحَسَنُ: لا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ وازِعٍ، أَيْ: مِنْ سُلْطانٍ يَكُفُّهُمْ، وتقولُ: وزَعْتُ الجَيْشَ؛ إذا حَبَسْتَ أَوَّلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ، وسُمِّيَ الكلبُ وازِعًا؛ لأنَّه يكفُّ الذِّئب عن الغَنَم[5].

ومعنى قولِه تَعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، أيْ: يُجمَعُ أوَّلُهم على آخِرِهم، ويُردّونَ إلى الصَّفِّ على كثرةٍ وتفاوت[6].

4) ﴿تُحِيطُواْ﴾: (حوط) تدلُّ تصريفاتُها عَلى حِفظٍ وصيانة ورِعايَةٍ، وذبٍّ وتوفُّرٍ على مصالح الشَّيء وتعهُّده[7]، وسُمِّيَ الحائِطُ؛ لأنَّه يَحوط ما فيه[8]، ويُستعمَلُ في الحِفْظِ نحو قوله تَعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٤﴾ [فصلت: 54]، أي: حافظٌ له، عليمٌ به من جميع جهاته، كما يُستعمل في المنع، كقول اللّه تَعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: 66]، أي: إلّا أن تُمنعوا[9]، واحتاطَ الرَّجلُ لنفسه؛ إذا أخَذَ بالثِّقة، وأَحاطَ به، بمعنى: عَلِمه[10]، أي: عَلِمَ جِنْسَهُ ومقدارَهُ وغرضَهُ[11].

ومَعْنى قول اللّهِ تَعالى: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾: أكذَّبتم بها بادِئَ الرَّأي من غيرِ نظرٍ مِنْكُم فيها نظرًا يُحيطُ عِلْمُكم بأنَّها جديرةٌ بالتَّصديق أو التَّكذيب[12].

(1) الجوهري، الصّحاح: (فوج).
(2) الراغب، المفردات: (فوج).
(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (وزع).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (وزع).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (وزع).
(6) الرّاغب، المفردات: (وزع).
(7) الزّبيديّ، تاج العروس: (حوط).
(8) الخليل، العين: (حوط).
(9) الرّاغب، المفردات: (حيط).
(10) الجوهريّ، الصحاح: (حوط).
(11) الرّاغب، المفردات: (حيط).
(12) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 168.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تَوْبيخُ المُكَذِّبينَ بِالآياتِ الشَّرْعيَّةِ والكَوْنيَّةِ

وَيَوْم نَجْمَعُ يوم القيامَةِ مِن كُلِّ أُمَّة جماعَةً مِمَّن يُكذِّب بأدِلَّتنا وحُجَجِنا، يُحْبَس أوَّلُهُم على آخِرِهم؛ ليَجْتَمِعوا جميعًا، ثُمَّ يُساقون إلى الحِساب.

حتّى إذا جاءَ مِن كُلِّ أمَّةٍ فوجٌ مِمَّن يُكَذِّب بآياتِنا، فاجْتَمَعوا؛ قال اللّهُ سُبحانَهُ موبِّخًا: أكذَّبْتم بآياتي التي أَنْزَلْتُها على رُسُلي، وبالآياتِ التي أقَمْتُها دِلالَةً على اسْتِحْقاقي وحْدي للعِبادة، ولَم تُحيطوا عِلْمًا بها، أَم أَيُّ شيء كُنْتُم تَعْمَلونَ؟[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ وصْلِ الآيَةِ بِما قَبْلَها:

بَيانُ حالٍ مِنْ أَحْوالِ السّاعَةِ بَعْدَ ذِكْرِ شَرَطٍ مِنْ أَشْراطِها

وُصِلَ قولُ اللّه تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾، بالآية قَبْلَها: ﴿*وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ لِما بَيْنَهُما مِن التَّوسُّطِ بين الكَمالَيْن؛ إذْ كُلٌّ مِنَ الجُمْلَتَيْن خبريَّةٌ، فقولُهُ سُبْحانَهُ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ خبريَّة، وقولُهُ ﷻ: ﴿*وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ خبريَّة أيضًا؛ لأنَّ التَّحقيق في الجُمَلِ الشَّرطيَّة أنَّه يُنْظَرُ فيها باعْتِبار جَوابِها، وجوابُ هذه الجُملة خبرٌ، فتكونُ جملَةُ الشَّرط خبريَّةً، ثُمَّ إنَّ بين الجملتين مناسبةً في المعنى؛ إذْ كلتاهما تتعلَّقُ بذِكْر أحوالِ ما سَيَأْتي، فالأولى تتعلَّق بِشرَطٍ مِن أشراط السّاعة، والأخرى تتعلَّق بحالٍ مِن أحوالِ السّاعة نفسِها، وهو الحَشْرُ.

دِلالَةُ إيجازِ الحَذْفِ في قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ﴾:

تَصْويرُ مَشْهَدِ أَحْوالِ القيامَةِ

وُرود لَفْظِ (يَوْمَ) من قول اللّهِ تَعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ منصوبًا يُشعرُ بحذفٍ، فـ (يَوْم) مفعول به، والتَّقدير: (اذْكُرْ يومَ نحشُرُ)، ويدلُّ ذلك على الاعتبار بما سيحدث يوم الحشر، مِنَ التَّوبيخ والتَّقريع للمُعْرِضين عن الحَقِّ[2].

(1) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 384.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 302.

ويُمكن أن يكون (يومَ) ظرفًا متعلِّقًا بالفعلِ ﴿قَالَ﴾، مِن قوله: ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾، وقد جاء مُقَدَّمًا للاهتمام به، فاللهُ سُبحانَهُ يقولُ ذلك للمُكَذِّبين على وجْهِ التَّوبيخ يوم القيامة، لا أنَّه متعلِّقٌ بالفعل: ﴿أَكَذَّبْتُم﴾؛ لأنَّه يقتضي أنَّ التَّكذيب يحصل يومَ الحَشْر، وهو غيرُ مرادٍ ولا واقعٍ.

وفي تقديم الظَّرف على هذا الوجهِ أسلوبٌ بديعٌ مِنْ أساليب القرآنِ الكريم، بذِكْرِ الزَّمان والمكانِ ليتصوَّر القارئُ مشهدَ الحَشْرِ وما ذُكر معهُ في الآية[1].

دِلالَةُ إسْنادِ فِعْلِ الحَشْرِ إلى ضَميرِ الجَمْعِ:

بَـيـانُ عَـظَـمَـةِ الحَشْرِ وهَوْلِهِ

أُسنِدَ فعلُ الحَشْرِ ﴿نَحْشُرُ﴾ من قول الله سُبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ إلى ضَمير الجمع، وهو الضَّمير المستتر وجوبًا، والتَّقدير: (ويوم نَحْشُر نحنُ)، وهو مفيدٌ العظَمَةَ، وذلك لقصد إظهار المهابة في فعل الحَشْر وبيانِ هول ما يكون في ذلك اليوم، فاللهُ سُبْحانه عظيمٌ، وجميعُ ما يصدُرُ مِنْهُ سُبْحانه مِن أفعالٍ هيَ أفعالٌ عظيمةٌ تليق بجلالهِ وعَظمَته[2].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ ﴿نَحْشُرُ﴾:

الحَشْرُ جَمْعٌ مَعَ تَعْنيفٍ وإكْراهٍ

جاء التَّعبير بلفظ الحَشر، في قول اللهِ تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾، وذلك لأنَّ الحَشر يدُلُّ على الجمع على وجْهِ الإكراهِ والتَّعنيف[3]، وليس على مطلقِ الجَمْع، وهذا أبلغُ في الزَّجر والتَّخويف مِن فعل هؤلاء في تَكْذيبهم بآياتِ اللهِ سُبْحانَه.

دِلالَةُ ﴿مِن﴾ في قَوْلِهِ: ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾:

حرف الجرِّ ﴿مِن﴾ في قولِ الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 39.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 218.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 218 - 219.

﴿كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ دالٌّ على التَّبْعيض[1]، على أَنَّ المَعْنى: إخراجُ فوجٍ مِنَ المُكَذِّبين من كُلِّ أُمَّة، وجَمْعُ المُكَذِّبينَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فيه تَشْهيرٌ بِجُرْمِهِمْ، وتشنيع بباطلهم.

دِلالَةُ تَنْكيرِ ﴿فَوْجًا﴾:

كَثْرَةُ المُبْطِلينَ في الأُمَمِ

نُكِّر لفظُ ﴿فَوْجًا﴾ في قولِ الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾؛ للدِّلالَةِ عَلى التَّكْثير، أي: ويوم نحشر من كلِّ أُمَّةٍ فوجًا: جماعةً كثيرةً[2]، وفيه إيماءٌ إلى كثرةِ المُكَذِّبين بالحقِّ في الأمَمِ مع كثرةِ هذه الآياتِ وظهور دِلالَتِها على الحقِّ.

مَعْنى (مِنْ) في ﴿مِّمَّن﴾ ودِلالَتُها:

تَقْديمُ زُعَماءِ الكُفْرِ في العَذابِ، كَما كانوا مُتَقَدِّمينَ في الإضْلالِ

حرفُ الجَرِّ (مِن) في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ بيانيَّةٌ، وذلك أن لفظ ﴿فَوْجًا﴾ – من قوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ – مبهمٌ لا يُدرى كُنْهُه، فجاء قوله: ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ بيانًا لحقيقة هذا الفوج، وأنَّ المرادَ بهم المكذِّبون بالآيات[3]، ويجوز أن تكونَ (مِن) تبعيضيَّة، والمرادُ: زُعماء المُكَذِّبين وأئمَّتهم في الضَّلال[4].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يُكَذِّبُ﴾:

كُلَّما تَجَدَّدَتِ الآياتُ؛ جَدَّدوا بِها تَكْذيبًا

جاء التَّعبيرُ عن تكذيبِ المُكَذِّبين بالفعل المُضارع ﴿يُكَذِّبُ﴾، مِن قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾؛ للدِّلالة على اسْتِمْرار تَكْذيبِهم بالآياتِ وتَجَدُّده منهم؛ كُلَّما تجدَّدت أفرادُها، فقد كان التَّكذيبُ والاستهانَةُ بالآياتِ دأبَهم وعادَتَهُم.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 270.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 219.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 270.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 40.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ عَنِ الآياتِ بِالجَمْعِ:

شَناعَةُ التَّكْذيبِ بِالآياتِ مَعَ تَعَدُّدِ أَنْواعِها وأَفْرادِها

وردَت الآياتُ بِصيغَةِ الجَمْعِ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾؛ للدَّلالَةِ على تَنوُّعِ الآياتِ وكَثْرَتِها، وهذا يَلْزَمُ منهُ شِدَّةُ تكذيبِ هَؤلاء وقوَّةُ عِنادِهم، حيثُ لم ينتَفِعوا بالآيات على كَثْرَةِ عدَدِها واخْتِلاف أَجْناسِها، وهذا غايَةٌ في الانحِراف والضَّلال.

نُكْتَةُ إضافَةِ الآياتِ إلى ضَميرِ العَظَمَةِ:

مِنْ أَعْظَمِ الجُرْمِ التَّكْذيبُ بِآياتِ العَظيمِ سُبْحانَهُ

أُضيفت الآياتُ إلى ضميرِ العظَمَة الرّاجع إلى اللّهِ سُبْحانَه، في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾؛ للدِّلالة على عَظَمَتِها؛ إذْ هي آياتُ العظيم ﷻ، وما يكونُ مِنَ العَظيم؛ فهو عظيمٌ.

ولازمُ تَعظيم الآياتِ: المُبالغَةُ في التَّشنيعِ عَلى المُكَذِّبين؛ حيث كذَّبوا بآياتِ العظيمِ سُبْحانَهُ.

مَعْنى الفاءِ في ﴿فَهُمْ﴾ ودِلالَتُها:

اسْتِحْضارُ مَشْهَدِ حَشْرِ المُكَذِّبينَ

دلَّت الفاءُ في ﴿فَهُمْ﴾ مِنْ قول اللّهِ تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ على التَّفريع[1]، حيث فرَّعت الوزع على الحشر، فإنَّهم يوزعون لأجل حشرهم، وفي ذلك مزيد توصيفٍ للحشر، واستحضار لمشهد الذُّلِّ الَّذي يَغْشى هؤلاءِ المُكذِّبين.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالجُمْلَةِ الاسْميَّةِ ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾:

ذُلُّ المُكَذِّبينَ حالَ حَشْرِهِمْ

آثرت الآية الكريمةُ التَّعبيرَ عن وزع المكذِّبين بالجُمْلَة الاسميَّة: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، وذلك دالٌّ على تأكيدِ اتِّصافِهم بالوزع[2]، كأنَّ الوَزع وصفٌ راسخ فيهم، لا يُحشرون إلّا بهِ، وذلك يقتضي مزيدَ إهانَتِهم وإظهارَ مذلَّتهم، فليس حَشْرُهم حشرَ كرامةٍ ورأفَةٍ، بل حشر وزعٍ ودفعٍ وشدَّة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 240.
(2) القونويّ، حاشية البيضاويّ: 14/ 451.

سِرُّ اخْتيارِ لَفْظِ ﴿يُوزَعُونَ﴾:

بَيانُ شِـدَّةِ الرَّدِّ والسَّوْقِ

اختارت الآية التَّعبيرَ بلفظ ﴿يُوزَعُونَ﴾، من قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ لدلالةٍ تتعلَّق بمادَّة اللَّفظ وصيغته.

فأمّا مادَّتُهُ؛ فالوزع: منعٌ عمّا لا يصحُّ، ويكون بالأمر والنَّهي، ويكون بالقول والفعل، وأمّا صيغتُه؛ فقد جيءَ بها بالفِعْلِ المضارع ﴿يُوزَعُونَ﴾، وذلك دالٌّ على تجدُّد فعل الوزع الواقع عليهم.

فاجتمع مِن اصطفاء مادَّة (وزع) وصيغتِها أَنْ صوِّر حالُ المكذِّبين، وهم في انفلاتٍ فيُرَدّون، وعدمِ انضباط فيُضبطون، وافتراقٍ فيُجمعون، وفيه دلالةٌ على كَثْرَةِ عدَدِهِم وتباعُدِ أطرافهم[1].

نُكْتَةُ بِناءِ الفِعْلِ ﴿يُوزَعُونَ﴾ لِما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ:

اسْـتِـحْـقـاقُ المُكَذِّبينَ لِلإذْلالِ والإهانَةِ

بُنِيَ الفعلُ ﴿يُوزَعُونَ﴾ في قولِ الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ لِما لَم يُسَمَّ فاعِلُه؛ وذلك لقصدِ الاهتمام بمَن يقَعُ عليهِ فِعْلُ الوزع بقطع النَّظرِ عَنْ فاعله، والعناية بوصف الذُّلِّ والمَهانة الواقِعَيْن على المكذِّبين حَشْدًا وضبطًا ولكزًا ودفعًا.

والوَزْعُ المذكور سواءٌ أَكان بمعنى: يُجمعون، أَمْ يُدْفَعون، أَمْ يُساقون، أَمْ يُرَدُّ أوَّلُهم على آخرهم[2]، فإنَّ الفعلَ في ذاتِهِ مُلْفِتٌ للنَّظَر، آخذٌ بالبصرِ مِن هولِ ما يقَعُ للمكذِّبين، ناهيك عن انتظار العباد لِما بِهِم يُفْعَلُ، ويُراد، وهُم قد سبقت جَرائِرُهم، وتلاحَقَت جَرائِمُهم، وهم ينتظرون الجزاءَ الوفاق من الله سبحانَهُ.

مَعْنى ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ودِلالَتُها:

﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قولِ الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى﴾

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 302.
(2) الماورديّ، النّكت والعيون: 4/ 228.

ابتدائيَّةٌ، ومعنى الغايَة ملازمٌ لها كذلك[1]، وهي تدلُّ على الحدِّ الَّذي ينتهي إليه جرُّ المكذِّبين ووزعهم، فهُم يوزعون، ويُدفعون مع طول السَّير وعظم الفوج، إلى أن يَبْلغوا ذلك المكان، فيبدأ سؤالُ التَّقريع والتَّوبيخ ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾.

الانتقالُ مِنَ الإهانَةِ والإذْلالِ إلى التَّوْبيخِ والتَّقْريعِ

مَعْنى ﴿إِذَا﴾ ودِلالَتُها:

﴿إِذَا﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾ ظرفُ زمانٍ، بمعنى: حين، وهو يَقْتَضي فِعْلَيْن بعدَهُ مُشابِهَين لِفِعْلَي الشَّرط وجوابِه، وذلك لأنَّ ﴿إِذَا﴾ مُضَمَّنَةٌ معنى الشَّرط، و﴿إِذَا﴾ معمولٌ لِجَوابِه، وفِعْلُ الشَّرط جملةٌ مُضافٌ إليها ﴿إِذَا﴾، والتَّقدير: (حتّى قال أَكَذَّبْتُم بآياتي حينَ جاؤوا)[2].

مُعاجَلَةُ المكذِّبينَ بالتَّوْبيخِ والتَّعْنيفِ

فأفاد هَذا أنَّه بِمُجَرَّدِ مَجيئِهم يُعَنَّفون، ويوَبَّخون، ويُنكَر عَلَيْهِم بسبَبِ تَكْذيبِهم بآياتِ اللّه سُبْحانَهُ قبلَ تَحَقُّقهم مِن كُنْهِها.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ الماضي ﴿جَاءُو﴾:

جاء التَّعبيرُ بالفِعْلِ الماضي ﴿جَاءُو﴾، في قولِ اللّهِ سُبْحانَه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾؛ للدِّلالة على تَحَقُّق مَجيئِهم للحِساب والجزاء، وتحقُّق ما يُقال لَهُم عَلى وجْهِ التَّوبيخ مِمّا ذُكِرَ في الآيةِ: ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾.

تَحَقُّقُ جَزاءِ المكذِّبينَ

دِلالَةُ حَذْفِ مُتَعَلِّقِ فِعْلِ المَجيءِ:

حُذِفَ متعلِّق فعلُ المجيء، في قول اللّه تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾، وهو مِنَ الإيجازِ الَّذي يُنْبِئ عنهُ السّياق، والمعنى: حَتّى إذا جاؤوا إلى مَوْقِف السُّؤال والمناقشة والحساب وعرصاتِ القيامَةِ[3]، ولمّا كان المتعلِّق بيِّنًا؛ حَسُن حذفُه؛ إذ وزْعُهم وحَشْرُهم

لا يُحْشَرُ المُكَذِّبونَ إلّا لِلتَّوْبيخِ والعَذابِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 40، 19/ 240.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 240.

(3) الواحدي، التفسير البسيط: 17/ 306، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 302.

وسَوقهم ليس إلّا للحسابِ، فلِقَبيح تَكْذيبِهم لا يُساقون إلّا إلى العقاب، ولعظيم جُرْمِهم لا يُبعثون إلّا للمُساءلَة والتَّوبيخ.

بَلاغَةُ الالتِفاتِ مِنَ التَّكَلُّمِ إلى الغَيْبَةِ:

تَربِيَةُ المَهابَةِ لِعَظَمَةِ المَوْقِفِ والخِطابِ

في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى﴾ التفاتٌ من التكلُّم في ﴿نَحْشُرُ﴾ و﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿قَالَ﴾، وفي هذا الالتفاتِ تربيةٌ للمهابة؛ إذِ الموقِفُ جللٌ، والمخاطَب بالسُّؤال هم المكذِّبون، والمخاطِب هو ربُّ العالمينَ، والمقام مقامُ حسابٍ ومساءلة ممّا يقتضي معَهُ هذه المهابة[1].

دِلالَةُ الاسْتِفْهامِ في قَوْلِهِ: ﴿أَكَذَّبْتُم﴾:

تَوْبيخُ المُكَذِّبينَ وإلْجاؤُهُمْ إلى الإقْرارِ

الهمزة في ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ مِنْ قول الله تعالى: ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى﴾ للاستفهام، وهذا الاستفهامُ لا يُرادُ به حقيقَتُه؛ إذ إنَّ حقيقةَ الاستفهام: طلبُ العلم بشَيْءٍ لم يكُن معلومًا مِن قبل، وهذا لا يكونُ في حقِّ اللَّه سُبْحانَه؛ لأنَّه ﷻ عليمٌ بكُلِّ شيءٍ، وإنَّما المراد بالاستفهام التَّوبيخ، ثُمَّ يَنْضَمُّ إلى ذلك لازِمُهُ، وهو الإلجاءُ إلى الاعترافِ بأَنَّ المستفهمَ عَنْهُ واقعٌ مِنْهُم، وذلك على جِهَة التَّبكيت والتَّقريع[2]، فصار للاستفهام مستوياتٌ مِنَ الدِّلالة؛ فتضمَّن التَّقريرَ - وهوَ الإلجاءُ إلى الإقرار - والتَّوبيخَ والتَّبكيتَ والتَّقريع، ولا تنافيَ بينَ هذه الدِّلالات؛ لِما تقرَّر من أَنَّ النِّكاتِ البلاغيَّةَ تتوارَدُ، ولا تتزاحَمُ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ عَنِ الآياتِ بِالجَمْعِ:

تَقْريعُ المُكَذِّبينَ وتَوْبيخُهُمْ

ورَدَت الآياتُ بِصيغَةِ الجَمْعِ في قولِ اللهِ سُبحانه: ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى﴾؛ للدِّلالَةِ على تَنوُّعِ الآياتِ وكَثْرَتِها، وهذا يَلْزَمُ منهُ شِدَّةُ تكذيبِ هَؤلاء ومبالغتُهم في العِنادِ، حيثُ كذَّبوا بالآيات مع كَثْرَةِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 302.

(2) الواحديّ، الوسيط: 17/ 306، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 219، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 40.

عدَدِها واخْتِلاف أَجْناسِها، وهذا يقتضي شِدَّة توبيخِهم وتَقْريعهم على هذا الجُرْم العظيمِ الذي قارَفوهُ.

دِلالَةُ إضافَةِ الآياتِ:

مواجَهَةُ المُكَذِّبينَ بِالحَقِّ الذي أَنْكَروهُ

أُضيفَتِ الآياتُ إلى الضَّمير العائدِ إلى اللهِ تعالى ﴿بِـَٔايَـٰتِى﴾، من قولِه سُبْحانَه: ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى﴾؛ لإرادة التَّعظيم، فهي آياتُ اللهِ ﷻ، وهو العظيمُ الذي لا مُنْتهى لعَظَمته، وما يُضاف إليه يعظُمُ بهذه الإضافة، وهذا يَقْتَضي مزيدَ توبيخٍ لهؤلاء المُكَذِّبين وتَقْريعِهم، فهم "يُسْألون ممّن كانوا يُنْكِرونه، أو يُشْركون به، ويكذِّبون بآياتِه، ويمكرون برُسلِه، وهذا السُّؤال مِنَ اللهِ سُبْحانَه هو مواجهةٌ لَهُم بالحقِّ الَّذي أَنْكَروه، وعَموا عنهُ، وفي هذا بلاءٌ عظيمٌ لهم، حيثُ يُسْقَطُ في أيديهم، ولا يَجِدون قولًا يقولونَهُ"[1].

نُكْتَةُ حَذْفِ المُعادِلِ في الاسْتِفْهامِ:

إلْجاءُ المُكَذِّبينَ إلى الإقْرارِ بِالتَّكْذيبِ

جاء الاستفهامُ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى﴾ بالهمزة، وهي مِمّا يغلِب أن يُذكر معها معادلٌ بعد (أم)، وهي - أي: (أم) - هنا محذوفَةٌ معَ المُعادِل، وقرينَةُ هذا الحذفِ قولُه تعالى بعدُ: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، والتَّقدير: (أكذَّبْتُم بآياتي أم لَم تكذِّبوا أم ماذا كنتُم تَعْملون؛ إن لم تُكَذِّبوا؟ فإنَّكم لم توقِنوا، ولَم تُذْعِنوا، فما الذي عَمِلْتُموه مدَّة تكرار دعوةِ المُرْسَلين لَكُم إلى الإسلام؟ ومِن هُنا حصل إلْجاؤُهُم إلى الإقرارِ بتَكْذيبِهم)[2].

ونُصَّ على المُعادِل الأوَّل - وهو (كَذَّبْتُمْ) - لأنَّه محقَّقٌ وقوعُه منهم، بخلافِ المُعادل الآخَر - (لَمْ تُكَذِّبوا) - فقد حُذِف مع (أم)؛ للتَّنبيه على انتفائِه، كأَنَّ المعنى: أهو ما عُرف مِنْكُم من التَّكذيب أم حدَثَ أمرٌ آخرُ؟[3].

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 273.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 41.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 41.

دِلالَةُ الواوِ في ﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ﴾:

أَسْـوَأُ التَّكذيبِ هوَ الصّادِرُ بِغَيْرِ عِلْمٍ مُحيطٍ

الواوُ في ﴿وَلَمْ﴾ مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾ واو الحال، والمعنى: أكذَّبْتُم بآياتي مِن غير فِكْرٍ ورويَّةٍ ونظرٍ يوصِلُكم إلى العلم بحقيقَتِها وكُنْهِها[1].

ويجوزُ أَن تكونَ الواوُ في: ﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾ عاطفةً، والمعنى: أَجَمَعْتُم بينَ التَّكذيبِ بالآياتِ وعدَمِ تدبُّرها وتأمُّل معانيها[2].

وكِلا المَعْنَيَيْنِ فيه إظهارُ شناعَةِ تَكْذيبِهم، وغايةِ قُبْحِ صنيعِهم، وفيهِ تأكيدُ الإنكارِ عليهم وتوبيخهم.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ﴾:

تَرْكُ تَأَمُّلِ الآياتِ دَيْدَنُ المُعْرِضينَ المُتَكَبِّرينَ

جاء التَّعبيرُ بالفِعْلِ المضارعِ ﴿تُحِيطُواْ﴾، مِن قول اللّه تَعالى: ﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾؛ للدَّلالَةِ على تجدُّد تَرْكِ اعْتِبارِهم ونَظَرِهم في الآيات واسْتِمْرارهم على هذهِ الحال، فالاسْتِمْرارُ المُسْتفادُ مِنَ الفعل المضارع هو استِمْرارُ النَّفي لا نفيُ الاستمرار؛ لأنَّ إحاطتَهُم علمًا بالآيات لم تَحْصُل منهُم البتَّة، بَل كان الإعراضُ طريقتَهم، والمبادرةُ إلى التَّكذيبِ دَيْدَنَهم.

نُكْتَةُ العُدولِ عَنْ إسْنادِ الإحاطَةِ إلى العِلْمِ:

البَيانُ بَعْدَ الإبْهامِ أَوْقَعُ في النَّفْسِ وأَمْكَنُ

﴿عِلْمًا﴾ في قول اللّه تعالى: ﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾ منصوبٌ على التَّمْييز، وهو تمييزٌ محوَّل من فاعلٍ، والأصلُ: ولم يُحِطْ علمُكم بها، ولكنَّ النَّظم القرآنيَّ عدَل عن إسنادِ الإحاطةِ إلى العِلْم، وأسندَها إلى ذواتِ المُخاطَبين؛ ليكونَ في الكلامِ إجمالٌ في الإسنادِ، ثُمَّ يَرِدُ التَّمييزُ مبيِّنًا الإجمالَ المُتَقَدِّم، فيكون ذلك أوقعَ في القلبِ وأَثْبَتَ في الذِّهْنِ وأبلغَ في الزَّجر[3].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 385، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 219، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 41.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 302.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 41.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِإحاطَةِ العِلْمِ بِالآياتِ:

لُزومُ الإحاطَةِ بِالأُمورِ عِلْمًا قَبْلَ الحُكْمِ عَلَيْها

عَبَّر القرآنُ الكريم بإحاطة العلم بالآيات، في قول اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾، وهو تعبيرٌ رشيقٌ يُرادُ به تمكُّنُ العلم، ويُشير لفظُ الإحاطةِ إلى ظَرْفٍ مُحيط بالشَّيء، والمظروف هنا هو الآيات، والذي يحيط بها هو العلم، فاكتملت الصّورةُ في لزوم الاطِّلاع الجيِّد على الآياتِ وتمكُّن العلم بأبعادها ودِلالَتها.

وفي هذا التَّعبيرِ تعييرٌ لهم وتوبيخ بأنَّهم كذَّبوا بالآيات[1]، ولم يكلِّفوا أنفسَهُم النَّظر فيها أو التَّحقُّق مِنها، ففاتهم الانتفاعُ بِها.

دِلالَةُ (أَمْ) في قَوْلِهِ: ﴿أَمَّاذَا﴾:

الانْتِقالُ مِنْ تَوْبيخٍ إلى آخَرَ

(أَم) في ﴿أَمَّاذَا﴾ من قول الله تعالى: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ منقطعة بمعنى (بل)[2]، وهي للإضراب الانتقاليِّ لا الإبطاليِّ؛ إذ انتقَلَ الكلامُ مِنَ الاستفهامِ الَّذي يَقْتضي التَّوبيخَ على التَّكذيبِ دونَ عِلْمٍ محيطٍ؛ إلى الاستفهامِ عَن عَملهم أيضًا على جهة التَّوبيخ[3]، أي: أكذَّبتم بآياتي؟ بل ماذا كنتُم تعملونَهُ مُدَّة دعوةِ الرُّسُل لَكُم إلى الحَقِّ؟.

دِلالَةُ الاسْتِفْهامِ في قَوْلِهِ: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

لَيْسَ لِلمُكَذِّبينَ أَيُّ عَمَلٍ سِوى التَّكْذيبِ

الهمزَةُ في قول الله تعالى: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ للاستفهام، وهذا الاستفهامُ لا يُراد به حقيقتُه مِن طلبِ العِلْمِ بِشَيْءٍ لَمْ يكُنْ معلومًا مِن قَبْلُ؛ لأنَّ اللّه سُبْحانَه بكُلِّ شيء عليمٌ، وإنَّما المُراد بِهِ التَّوبيخ والتَّبكيت[4]، فإنَّهم لمّا لم يشتغلوا بالتَّصديق بالآيات، والعملِ بمُقْتَضى هذا التَّصْديق، فأيُّ شيءٍ كانوا يَعْمَلونَهُ بَعْدَ ذلك؟ كأنَّ كُلَّ عَمَلٍ سِوى ذلك؛ فلَيْسَ بِعَمَلٍ[5]، وإذ لم يفعلوا غيرَ التَّكذيب، فلا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 41.
(2) المراديّ، الجنى الدّاني، ص: 205.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 270.
(4) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 386.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 573.

يَقْدِرون أن يَقولوا: فَعَلْنا غيرَ ذلك[1]، وهذا مُنْتَهى التَّقريعِ وغاية التَّبكيت لِمَنْ كان له عقلٌ، وفَهِمَ المرادَ بهذا المعنى المستفادِ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿تَعْمَلُونَ﴾:

لا عَمَلَ لِلكافِرينَ إلّا التَّكْذيبُ مَعَ تَجَدُّدِ الآياتِ وكَثْرَتِها

جاء التَّعْبيرُ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿تَعْمَلُونَ﴾، في قول اللّهِ تَعالى: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وذلك دالٌّ على التَّجدُّد والاسْتِمْرار، وفيهِ إيماءٌ إلى أنَّهم عُمِّروا في الأرضِ ما يتذَكَّر فيهِ مَن تذَكَّر، ولكنَّهم لم يَعْمَلوا طيلَةَ عُمْرِهم بِما يَصْلُح أَن يُسَمّى عمَلًا يكون نافعًا لصاحبه، وهذا ممّا يزيد في تَبْكيتِهم.

وذلك أنَّ الآياتِ متجدِّدةٌ، وكان الواجبُ عليهم أنَّه كلَّما تجدَّد عليهم ذِكْرُ آيةٍ مِن آيات اللّه سُبْحانَه أن يُجَدِّدوا مقابلَ ذلك عملًا صالحًا، فإنْ لَم يكُنْ لَهُم عمَلٌ إلّا التَّكذيب، فماذا كان عملهم غير ذلكَ؟.

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 168.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»